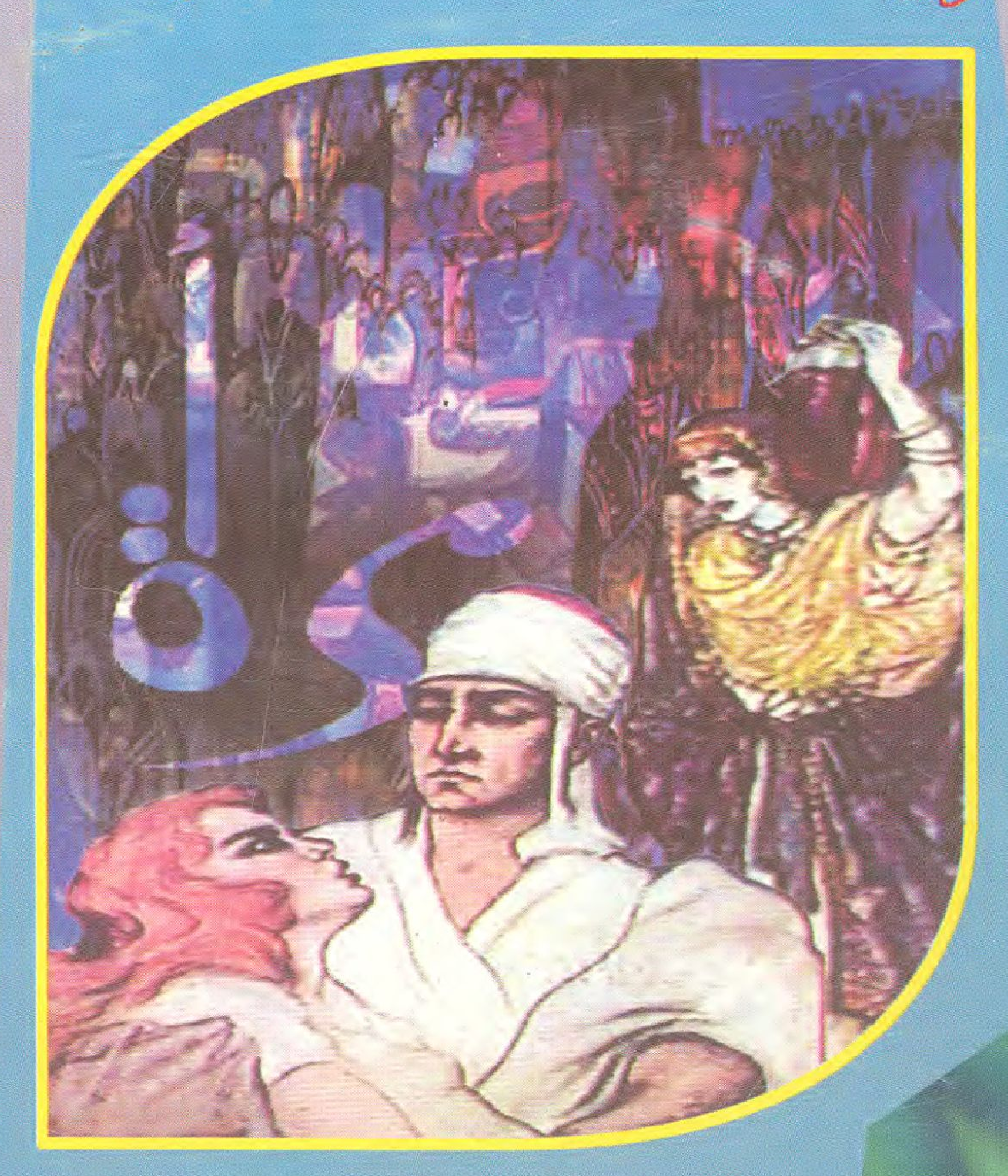




إيقاعات مختلفة جدًا



قصص

حمدى إبراهيم محمد



إبداعات

إيقاعات مختلفة جـــــدًّا

قصص

حمدى إبراهيم محمد

إبداعات

اسبوعية / العدد : ١٧٩

إيقاعات مختلفة جدًا

قصص / حمدى إبراهيم محمد

• تصميـــم الغـــلاف : رأفت محيى الدين
• موتيفة الغلاف للفنان : د. أحمد عبد الله
• الموتيفات الداخلية : غريب ندا
• المراجــعة اللغويــة : أشرف السعدى

• الطبعة الأولى : ٢٠٠٣
رقم الإيداع : ٨٥٥٢ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N: 977 - 305 - 447 - 0

• المراسلات : باسم رئيس التحرير
على العنوان التالى
١٦ أ ش أمين سامى - قصر العينى
رقم بريدى : ١١٥٦١

• الطباعة والتنفيذ : الشركة الدولية للطباعة
المنطقة الصناعية الثانية
قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
ت : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

فى البدء

سألقى بأرديتى الثقيلة فى الشارع الواسع ، وأسير متلفعًا بالهواء البارد والساخن - يتداخل جسدى شتاءً ويتمدد صيفًا ، والصوت العالى فى قوة يعلن قدومى ، أزفر آهات ساخنة من جوفى ، أملأ بها فضاء الشارع ، وفضاء الناس وفضاء القيم ، ويوم أن أرتدى ، سيكون الكل قد تعرى تمامًا تسير يومها القلوب وتتعانق ، يغدو جسدى يومها متحركًا لا بقدم وفم ولكن بقلب وروح .

يومها سيعلو نبض القلب وتكتب نبضاته - لا بجهاز لرسم القلب ولكن بلغة حديثة ، لها حروف تتحرك وتتألم وتحب وتمنح وتراقص الحمام الأبيض فى السماء ، تحنو على الوليد ، تمسح جبينه .. تضع القبلة .. تحمله إلى أعلى أعلى .. يكون قانون الناس يومها البراءة ، والشعار قيم جديدة حية متحركة ..!

« الحب – أعزك الله – أوله هزل وآخره جد . دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة »

طوق الحمامة

« لا شيء يقف فى طريق الحب ، لا التراب ولا الغبار ولا الزوابع ولا العواصف » .

مصطفى أمين
أفكار ممنوعة

أولًا : تراثيات



أ - الحجاج

* قائد عربى .. اشتهر بالبلاغة والشدة فى الحكم (٩٥هـ) .

ميلاده وزواجه وحكمه :

حكى ابن عبد ربه : تزوج يوسف من ثقيف فأنجب الحجاج . . كان يعلم الصبيان بالطائف . . قلده عبد الملك بن مروان أمر العسكر . . نكل بمن أحسن إليه - الوزير - روح بن زنباع . . صاهر المهلب . . ولى مكة والمدينة والطائف والعراق . . قمع ثورة ابن الأشعث فى وادى الجماجم .. أسس مدينة واسط .. نعت بالسفاك والسفاح .

- أما عنه : فقد احتاروا فى أمره ، قالوا : وُلِدَ ناقصا فلُفَّ فى معًى حيوانية حتى اكتمل . . وغدا له عقل رجل وشعور ثور .

(١)

واحتز الرأس المشرئب من بين الهامات .. وراحت تسأل يا حجاج لِمَ وقد كان مفتونًا بعمامتك ؟!

قال: أيتهاالمرأة لاأُسأل عماأفعل وأنتم تُسألون ؟

قالت : أراد أن يرى مكانها بعد أن خلعتها .. شُغِلَ ذهنُ الغلام بالمكان الذى اختاره الحجاج ليضع فيه عمامته .. وسار فى الكوفة أيامًا بدونها ..

وفى يوم عاصف أرسل ليلاً يطلبها.. وقد تجرد من ثيابه وقال : أهلا بأم اليتيم .. انظرى سيدتى ثيابى أيضًا صدقة على روح فقيدك بالرغم من برودة الجو

(٢)

فى الجمعة الثانية : وقفت بالباب . . رفعت صوتها وهى تقول آمين آمين والحجاج يبتهل – وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وحشرجة قد ملأت صوته ثم قال « يا أهل العراق أنتم أهل شقاق ونفاق » . . افعلوا كما يفعل أميركم . . رحم اليتيم والأرملة والمسكين وابن السبيل . . ولا يزال يبتهل والمرأة تؤمن . . وعلى قارعة الطريق كان النصل يبرق فى ضوء الشمس .

(٣)

- وقال يومًا للساقى : صب الخل فى الأوانى ، ودُرّبها على الندماء . . فسكروا جميعًا . . وامتطى صهوة جواده . وسار فى الكوفة وجعل الناس يقولون : أهذا الأمير . . ؟ وأين الموكب والحرس والعمامة ؟! واختلط عليهم الأمر . . وصباحًا صاروا يتحدثون عن أميرهم الذى يرى فى أكثر من مكان فى وقت واحد . . قالوا مراتب ولاية وتوسلوا إلى الله به . . ولا يزال النصل يبرق على قارعة الطريق .

(٤)

– وكتب عريضة وعلقها على باب المسجد .. وجعل الداخل يقرأ فيجلس انتظارًا للجزاء الموعود .. وصعد المنبر .. ووضع العمامة وقال : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ، متى أضع العمامة تعرفونى .. قال : يا من سعيتم للدنيا وللجزاء المكتوب بالعريضة أهلا بكم ، وهذا عطائى .. وجعل ينثر الحصباء .. فازدحمت الأسواق وعم الخيروزال البلاء وسدت طرقاته الكوفة بالدنانير والدراهم وغلا التراب .. فغدا المثقال بدينار .

(٥)

وأراد أن يتزوج فأرسل فى المدائن حاشرين يأتون بكل نهد سمين وخدٍّ أسيل .. وجعل يدقق النظر .. فارتخت أعضاؤه وخارت قواه وحمل على الأعناق ليوم الزفاف .. قالوا إن الحجاج صاهر المهلب بن أبى صفرة حتى يأمن جانبه .

(٦)

– وأذن المؤذن . . اليوم عيد . . فخرج فى هيبته . . وأدمعت الشموع واحترقت المباخر وتسربل باللون الأحمر الوردى . . وجاء من يسأل : سيدى إنى أرانى أعصر خمرًا وقال غيره : أنا أحمل رأسًا سئمت حمله . . فماذا ترى ؟!

فصمت . . ثم قال . . إذًا . . فأنا يوسف .

وراح يبحث عن زوجة العزيز التى هامت به . . ولا يزال يبحث فى طرقات الكوفة .

(٧)

اليوم : ثانى أيام العيد

الحدث : البحث عن زوجة العزيز .

واستبقا الباب . . ولما كانت أخف فى قفزها . . وأكثر فى اشتعالها . . فقد أحكمت غلق بابها . . وتهيأت . . وأسرفت فى فجرها . . وأمسكت باليد وراحت تقبل ، ثم انتقلت بها إلى أسفل قليلا والحجاج لا يزال جامدًا . .

علمته كيف يداعب النهد ، وبدا له أن يطفئ النار فى خدها . .

راقت له . . أزال بهدوء وسخونة كل قطعة . . حتى إذا تهيأت . . خرج مسرعًا من بابها . . قال : إنى أخاف الله رب العالمين .

وما الذى تبقى إذن حتى تخاف ؟!

كل شىء مباح فى الكوفة

مادام الطعام امرأة . . !

(٨)

واشهد فى نفسك أولاً بما بينى وبينك من ميثاق خسة وتسفل ، وعلى ملأ من الناس . . وفى وجه الخليفة قل : إنى الحجاج ، سيف الخليفة الذى لا ينبو ، وسهمه الذى لا تأخذه فيه لومة لائم . .

لما أراد الحجاج أن يلمع سيفه أخذ يضرب عنق من عقد معه ميثاقًا ، ومن يومها لم يكن أحدٌ أخف ولا أحب إلى الخليفة من الحجاج .

(٩)

لما أُتى بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر بقتلهم . . قال أحدهم أصلح الله الأمير إن لى حرمة عندك قال : ما هى ؟ . . قال ذكرت نسبك وشرفك وصلتك برسول الله وأنك قد صاهرته ، بل وأنجبت الحسن والحسين . . قال لا . . أنجبت الحسن فقط . . يا سياف خذ هذا المدعى الذى يلصق أبوتنا للحسين فدق عنقه بالسيف . . !

(١٠)

واختصم فى حضرته رجلان : قال الأول انفلتت رواحله - يا مولاى - على حقلى فهاسته وهرسته ، فما كان من ابنى إلا أن خرج مسرعًا فعقر إحداها فى ضرعها فضرجها فى دمائها كما ضرج ابن سالف ناقة صالح . . وما كان ولدى مخطئًا ، فهذا معاشنا وقوتنا . . . غير أن هذا الرجل لم يرض يا مولاى ، فشاط ودس يده فى كنانته وأخرج سهمًا فوقع من ولدى موقع القتل فخر صريعًا - وأنا كما ترى تملكنى العجز وابيض الشعر وانحنى الظهر ، ولا طاقة لى على نزاله فآثرت السلامة والسلم ، واحتكمنا للدية فقلنا يكفى الولد . . وهو يقول لا يكفى إلا ثلاثة . . نظر الحجاج بتفرس فى وجه الرجل الثانى . . وحان منه إذن له بفرد حجته . . فقال : مولاى قد يكون أخى ألحن فى الحجة منى - لكن وجب يا مولاى أن تسأله لم زرع وغرس

فى طريق رواحلى ، لهثت الأبعرة ، فانفلت زمامُها وفك قيدها وراحت تسدُّ الرمق بالغرس ، وما كان لى أن أحبسها عن الغرس خوفًا من هلاكها . .

فرد الحجاج . . وما تعطينا من هذه الأبعرة ؟!

قال الرجل . . كلها . . وليت الإمام يرضى

قال الحجاج : خذ يد أخيك واخرجا . . فقد عفوت عنه بركة لك .

* * *

ب - الأستاذ

ذكرتنى وحدته به ، فغدوت ألهج فى تخيُّل لحياته وحالات إبداعه ، شغلت به فأرقنى المنام وأقض المضجع .. وغدوت ألهث فى يأس لنيله ..

غير أنه ما تركنى ؛ فلقد زارنى بين نوم ويقظة ، وما كنت لأضيع ساعات طويلة من التمنى والرجاء ، بين إندارة وغطاء . . فلقد رجوته بعد سلامه أن يمهلنى لحظات لكى ألتمس قلمًا وورقة . . فما كان لى أن أغفل عن هذا وأنا فى حضرته ،، لعلنى وأنا من أنا . . أظفر بزيارة وأهنأ بتيسير . . أو أن تصيبنى عدوى ، فأغدويه ؛ أهذى بما يقول وأمتثل لما يكتب !

قال كما قال فما شئت أن أبدأ فى حضرته بحديث

الشِّعْرُ مِنْ نفس الرَّحمَنِ مُقْتَبَسٌ
والشَّاعِرُ الفَذُّ بَيْنَ النَّاسِ رَحْمَانُ

عاجلته بأسف لنوم فى حضرته وتفضلى فى ثيابى . .
وأنا أسترسل حانت منه التفاتة لمكانى . . وظهر أثر تواضعه
(المكان) في وجهه فقال رحم الله أبا فراس الحمدانى ،
حين قال :

ما كُلُّ ما فَوْقَ البَسيَطة كافِيًا

فإذا قَنَعْتَ فكُلُّ شَئ كاف

فقلت له ولم بيت أبى فراس ، فقال : ذلك لأن الشعر
حكمةٌ ، والبيت حكمة منطقية وحكمة شعورية وحكمة
نفسية ؛ ولأن العبرة بما تحسه لا بما تحتويه يداك ،
ولا قيمة لمملوك فى يديك ، ما لم يتحول إلى قيمة
نفسية . . أى : قيمة شعور وخيال . ورمقنى بنظرة فأحس
بمسحة حزنٍ ويأسٍ وأسى ؛ فقال : مالى أراك مهدود
العزم ، سقيم البدن ؟ قلت : الصداقة » وكنت أعانى من
تذبذبِ علاقيً فيها ، فقال : بنًى أنا لا أسيغ العلاقات
المذبذبة بين الصداقة والعداء ؛ فإما صداقة تكلفك
ما يكلفك إياه حبك لنفسك واوجبك نحو شخصك ، وإما
لا صداقة على الإطلاق ، واستشهد ببيت لإبراهيم
الموصلى :

اربأْ بِنَفْسِكِ أنْ تُرى		إلا عَدوًا أوْ صديقًا

وقال : وما حياتك وما وحدتك .. أهى التى أتعتبك ؟!

قلت : لا .. قال : فلماذا دعوتنى متعمدًا إقلاقى ؟!

قلت : سيدى شرفت بك ، بل وحدتى فكَّرتنى بوحدتك ، وكيف كنت وإلى أى مدى أصبحت . قال : أتعيش منعزلاً ؟! قلت : نعم . قال : وماذا عن رغباتك وأمنياتك ؟!

فتنهدت يائسًا ، فقال بنًى إن الناس يشكون كثيرًا ، ويرجون كثيرًا ، ولكنهم لوعادوا إلى الحياة وفى أذهانهم تجاربها وذكرياتها ؛ لتمنى أكثرهم ما كان يشكوه ، واستعاذ أكثرهم مما كان يرجوه ، وذكر بيتًا شهيرًا لأبى تمام :

قَدْ يُنْعِمُ الله بالبَلوى وإنْ عَظُمَتْ

ويبتلى الله بَعْضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

فهدأت نفسى واطمأنت عندما مسح جبينى بيده ، وقال بعد أن نظر فيما أكتب : إن الهمم قد توهن أحيانًا وقد تستعظم ، وتجزم بصعوبة مطلب ، ثم تقع أمامنا ؛ فإذا هى فى تقديرنا من أسهل الأمور كما قال المتنبى :

كُلُّ مالَمْ يَكُنْ فى الأنْفُ

سِ سَهْلٌ فيها إذا هُوَ كانا

ثم قال : هل لك فى حياة تحياها .. تشغل بها .. جرِّب أن تكون محبًا ومحبوبًا ، قلت وأنا أتعجب : حياة أحياها ،اشغل بها .. قال : نعم ، أو لا تذكر قول ابن الرومى :

أعْيى الهَوَى كُلَّ ذى عقْلٍ فَلَسْتَ تَرى

إلا صَحيحًا لَهُ حالاتُ مَجْنونِ

فجنون الهوى مرض يصيبُ جميع الناس بغير استثناء ، وفى عجالة .. ولما تبسط فى إرشادى ، تلاءمت وتغافلت وقلت له ..وما حالك الذى كان .. مع ابن الرومى .. فى حياته .. وفى بيته هذا الذى ذكرت !

قال : دعك يافتى من محاولة إتعابى .

قلت : وماذا عن كلبك .. قال : ذكرته لأنه موجود أراه حين أريد ، وحين يريد وحين لا أريد ، لا كما قال دعبل الخزاعى :

إنى لأفْتَحُ عيْنى حينَ أفْتَحُها

عَلى كَثيرٍ ولكِنْ لا أرى أحَدا

وحانت منى انتباهة على كتاب وضعته قبل نوم ، فأحدث فى رقبتى حذا أحمر .. لمت نفسى كثيرًا بعد انتباهى ، لماذا لم أسأل العقاد عن وحدته ؟! « أغلب الظن أنها رؤية نادرة جدا فى هذه الحياة كما قال » .

جـ - « أمل دنقل »

* شاعر مصرى .. اشتهر بحب الكادحين والفلاحين .. قادته إنسانيته الثائرة إلى السجون .

(١)

الخيل معقود بنواصيها النصر ، واكتب أيضًا فوق نواصيها معنى الحياة ، وارسم نبتًا أخضر يسرح خلفها ، يلون ضوء الشمس فيغدو ورديًا بلون دماء الخيل .. لا تنظر إلى من يركب .

(٢)

وأضف لسواد اللون وبياض النواصى . . لون السنابك الأخضر الغض . .

تتهادى حتى لا تدمى . . وتصرخ جزعة لو عثرت أختها فى بغداد .

(٣)

وارنُ لصوت صهيلها الشجى . . وارقص وانتش نشوة ظفر . . وعلى إيقاع الخطو نظم الخليل . . وعلى إيقاع الخطو أيضًا نعس الوليد . . وفى طرف النوم ثدى الأم فى ليل قارس .

(٤)

وليلها دامس . . والعزف الآن بصوت الدم . . والمنظر
شائه ، شكل الخيل
مهزوم . . رغم القفز الدامى من إفرست إلى الياء
المكسورة فى وطنى .

(٥)

الخيل فى البدء كانت برية . . . تتنفس حرية تطوف براية بيضاء . . ما حجبت ضوء الشمس ، فى جزء منها لون الدم السائح فوق جبين الأرض المغصوبة . . ولا تنتظر أحدًا فلن يأتى أحد . . والفارس المسكين فى صمت سجد لأ . . ركع والخيل تزفر غيظًا بظمإ !

« إلا أنهن متفرغات البال من كل شيء ، إلا من الجماع ودواعيه ،

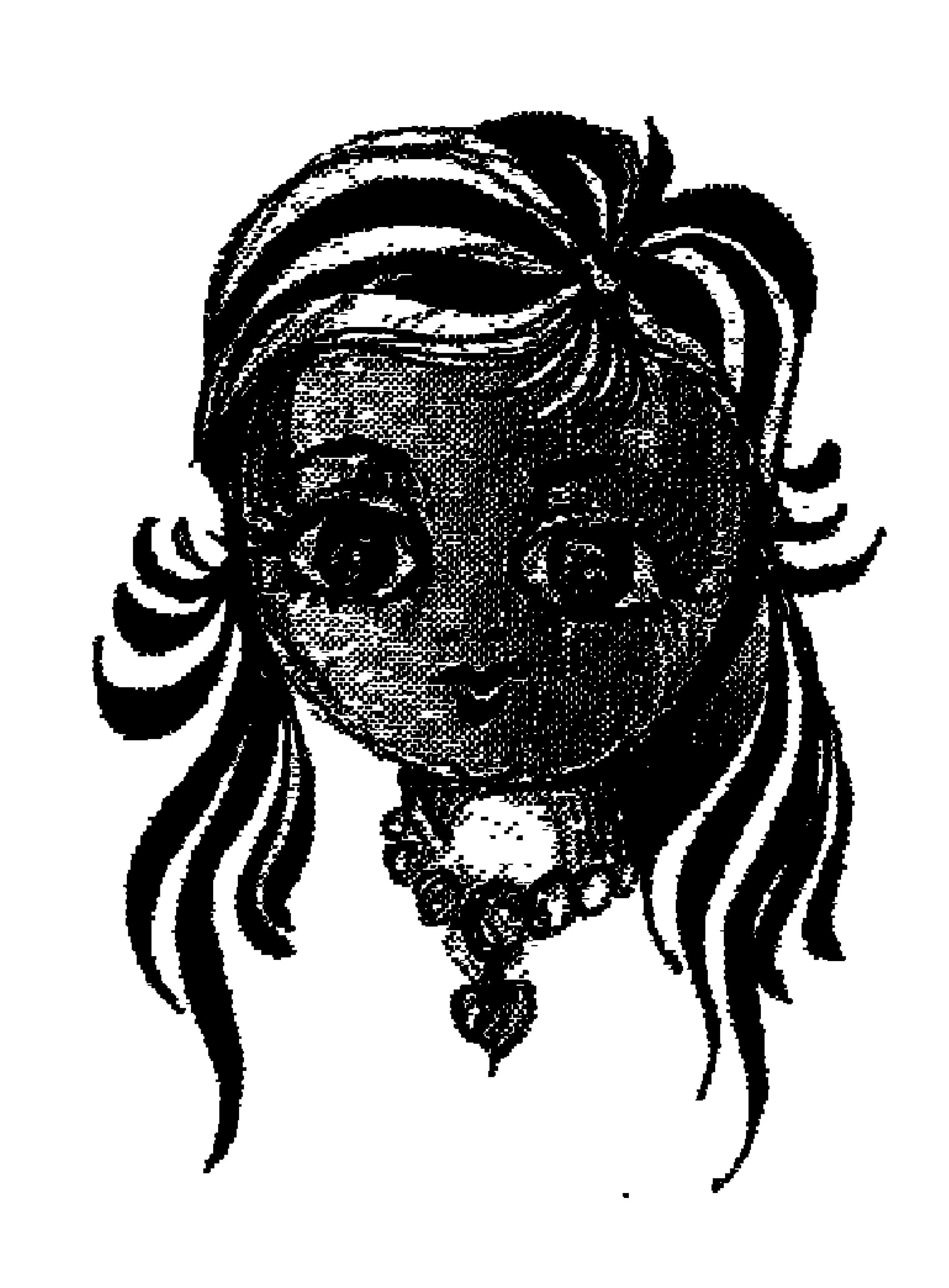
والغزل وأسبابه ، والتآلف ووجوهه ، لا شغل لهن غيره ، ولا خلقن لسواه »

طوق الحمامة

« ورأيت فتاة مثل القمر تمشي مع قزم ذي لحية سوداء كثة ، فيه من القرد شبه كبير ، ويؤكد فعلاً نظرية داروين بأن أصل الإنسان قرد ، ولكن الفتاة العاشقة كانت تنظر إلى القرد الذي يسير إلى جانبها كأنه أجمل رجل في العالم » .

مصطفى أمين
أفكار ممنوعة

ثانيًا : واقعيات - المرأة



(١)
وهى أمى

أرسلت إلىّ جلباب أبى الصوف . . ومسبحة فسفورية ، قالت لحاملها : أوصه أن يرتدى الجلباب الصوف فى نومه ، فالبرد شديد ، والمسبحة هو يعرف متى وكيف يستخدمها . . والوحدة ، وفتيات الإعلانات . . ونبيل وحسن وحسام ومها فى الشغل ، والأتوبيس المزدحم صباحًا . . وكبرى قصر النيل مساءً ، ومحمد فؤاد ومادونا والشيخ محمد ينادى حى على الصلاة . . الصلاة خير من النوم . . والسكون . . ولما أرحت على التراب جبينى « أردد » نأت عن الجمع الغفير عيونى . . وظننتنى وحدى فما حولى سوى ظلى ونور يقينى . . صرخ الوجود وقال حسبى أننى روح وحسبك محض خفقة طين ، أنا يا ابن آدم قد سجدت مكبرًا وخشعت منذ بداية التكوين . . والله أكبر .

(٢)

ومن قيمها

قد يكون وعيها قليلا .. لكن سجيتها تسمح لها بأن تصدر فى أفعالها عن وعى ودراية .. هذا ما يمكن أن يقال توضيحًا لمألوفها فى حياتها التى عايشتها فى طفولتى ؛ حيث كان إدراكى الطفولى الهادىء يأخذنى نحوها وأنا أدور محدثًا ضجيجًا وجلبة بالمكان .. غرفة سوداء ضيقة ، عروش السطح متدلية ، كوة ضيقة غائرة فى جدارها الشرقى .. شعاع ذهبى ينبر بعنف وبقوة عيونًا كليلة دامعة .. يصحو وتصحو .. يخرج .. يئن اليأس حيث يعود خالى الوفاض .. أدور وألف .. أتعلق برقبته .. تحضر بقايا حفنات دقيق فى اليوم الأول .. يأكلنا الجوع فى اليوم الثانى .. ترمى بالحجر فى الماء كى أسمع له بقبقة ، وتحركه بانهماك وصدق كى يتحول إلى لحم مليح .. ولكنها كانت تقول له دومًا « لا تدس يدك فى غفلة

من الرقيب حتى تلقى باللقمة الغضة اللينة فى جوفى وجوف ابنك » ويجيب ولا حتى الجافة .. ويبتسمان .

(٣)
هى فى قريتى

تسألنى هل ستسافر اليوم ؟!
وهى الحية ضاحكة الأثواب
وأجيب : اليوم قبل الغروب .
ونغذُّ السير إلى السواقى الجانبية .. ونغيب ويطول الغياب .
وتسألنى : هل ستسافر اليوم ؟!
وهى فيما يبدو عطوفًا رقيقة .
وأجيب : اليوم عند المساء
وانتشينا
وأسألها : أين أنت فى منتصف المساء ؟!
وتجيب .. فى المحراب .. حيث الرزق السائغ الدوام أنا مريم .

(٤)
هى زميلتى

احتوانى سكون ، ولفتنى ظلمات متوالية ، ورحت وراحت معى ، بعدما أطفأت اللمبة المعلقة فوق رأسى . .

انتعشت حواسى بعد الدش البارد صباحًا . . جاءت وجلست أمامى . . أهمس بتذللٍ . . علياء . . علياء . . ارفعى الورقة إلى أعلى ونحى رأسك جانبًا وأرينى ماذا كتبت . . وصوت أجش بعنف « لو سمحت يا أفندى . . بص فى ورقتك » .

(٥)
هى فى حلمى

تلبس معطفًا أبيض . .
نتدثر بالقمر . .
تلحظنا الأعين . .
مَن سيزفر هو (أنا) أم القمر ؟
وتضمنى فأرتاح . .
وأعود حيث النبر الساخن لشعاع الشمس الخارق للنافذة .

(٦)
هى لغيرى

والنصل اللامع يبرق فى ضوء الشمس ،
يحزُّ الهامة البيضاء المرفوعة لحمامة غضة غراء . .
والدم المسفوح المتساقط يملأ أرديتى . . ولا أنام

(٧)
هى مظلومة

كتبت لأبيها :-

ليكن الأمر كما أبرم . . أنهينا الترتيبات وسنلتقى قريبًا فى فراشٍ واحدٍ . . وداعًا لما كنت تُسيِّر . . الآن أشكر لك سعيك من أجلى . .

بقى فقط منك إطار خشبى قديم ، يحوى عينين تبرقان فى شره ، أرجو منك ألا تحاول أن تنزع عنى غطائى وسترى متسللا من هذا الإطار القديم ، الذى تحاول رسمه وإحكامه ، لك لى أن أكتب فقط أسفله ، سنوات تعسة ، رُبيتُ فى كنف مزيجين ، عندما تعود رافعًا ثوبك الأبيض حتى منتصف الساق ، واضعًا غطاءً أبيض فوق رأسك ، ماسكًا بحبات نقية من خزائن حرامك - « مسبحة »

وعندما تذهب حيث كنت بعيدًا عن عيونى ، تتساوى الأفعال ، ويغدو الأمر فى حضن ساقطة .

اليوم تحررت من سلطانين ؛ سلطانك وسلطان شهواتك . وشكرًا !

(٨)

هى امرأة

أصابتنى رعدة ، واصطكت أسنانى بعدما ألقيت بتحية الصباح عليها وهى تجهز كوب اللبن الساخن وقطعة الباسطة ، وعندما تأملتنى وكنت من - حينى - موقدًا حراريًا يلين المكان .. عالجت كوب اللبن ببعض من السمن البلدى - هالها أن ترانى فارغ الحرارة والدفء عندما تناسيت أن أطبع قبلة ساخنة .

تشاءمت عندما شاهدتنى أرتدى البدلة ، تعلقت حتى أتحرك .. جلست إلى المائدة ، قتلت نعومة ذقنى ورأسى أنوثتها ، فكرهتنى أكثر وأكثر .. أطلقت العنان بعدها لذقنى فطالت صدرى ، وسحبتنى منها يومًا .. حاولت ولم أفلح .. وكان الهدوء والموسيقى والسمك والنرجس واللون الأحمر والشعر السائح الطويل وكأس الويسكى .. وبعدها خلدت للراحة الطويلة المملة .. تحركت فى

النصف الأخير من الليل .. لكنها ثارت ووهنت وتشبثت بى أكثر وأكثر وحوطتنى وأحكمت اللف .. ولم أفلح .. فى الصباح تركت البابِ مواربًا وخرجت .

(٩)

هى فى غيها

- تشاغلت بالهدوء .. فلم يعد غير صوت الساعة اليقظ ، تحركت يدها فلمست يديه واستيقظا صباحا ثلاثة ..!

- دخلت صباحا فلمست بفخذها ركبته .. ارتاحت بجانبه فى هدوء واستكانة .. انساب الشعر بهفهفة الهواء فغطى الوجه .. وتحرك .. قال للسائق بصوت رقيق .. لو سمحت هذا ثمن تذكرتين .

- تهرع للحمام ، تستفرغ ما فى معدتها عندما ينام سعيدًا بفحولته .. تتعطر .. تتزين .. تخرج لحياة جديدة .. تملأ معدتها الفارغة ..

- بعد أيام أدركت تلونها وتلاينها ، وهى تلملم أطراف ثوبها كلما مرت .. تصطنع الضيق ، وبعده ابتسامة .. أشارت للأمام فتابعتها .. تحدثنا حتى أسدلت ثوبها .

- سئلت إحداهن وكانت تحاكم بسبب فعل فاضح ، فقالت أقدم اللحم لزوجى فلا يأكل إلا الفتات والباقى يتركه ليتعفن .. فلم لا أجود به على غيره ؟!

- سئلت إحداهن وكانت فى أزمة .. مَنْ أبوه ؟! قالت : الوالد للفراش .

- خرجت حاسرة الرأس .. نافرة النهد فى يومها الأول ، تدلى الشعر فغطى النهدين فى اليوم الثانى . لم أفطن إلى الشعر أو النهدين فى اليوم الثالث .

- نم يا ولدى فالشتاء قارس .. ألا تسمع صوت الريح .

فى الصباح سأل الولد : أمى .. أصوات الريح تشبه آهاتك ؟!

- كتبت .. تغيبت .. كثيرًا يا حبى ولكن .. اجعلها غربة واحدة . كتبت .. اشتقت إليك ولكن عليك أن تصبر .

حضر .. فوجد الغرفة حمراء مسكونة .

- يعتصرها فتتورد .. فيسألها أسعيدة بالحب
ويسأل أسعيدة بالولد الثانى .. تتلاين وتضمه ...
أسعيدة بالولد الثالث .. فتلثم شفاه وتتأوه
أسعيدة بالولد الخامس .. فتلفه ويناما
أسعيدة بموتى .. فتجيب بل سعيدة بسقَّاءٍ جديد .

« ومن آياته مراعاة المحب لمحبوبه ، وحفظه لكل مايقع منه ، وبحثه عن أخباره حتى لا تسقط عنه دقيقة ولا جليلة ، وتتبعه لحركاته ، ولعمرى لقد ترى البليد يصير فى هذه الحالة ذكيا والغافل فطنًا . »

طوق الحمامة

ثالثًا : ميراث



يقين

(١)

- أ -

أحس الخولى بسخونة الشمس .. يا هنية غنًّى .. غنى بصوت عال .. سبقت خطوات .. « سيدى إبراهيم الدسوقى فتح تلت عيادات .. الأولى لقطع الورقه والتانيه للكشوفات والتالته لسيدى الحسن والحسين إخوات » .. هبت نسمة طرية .. سرت فى الأنفار نشوة .. نادى الخولى يا مداااد .. زخت سحابة ونعست شمس .

- ب -

فى الليل الغائم .. غرفة ضاربة فى العمق .. جدار أسود .. أرضية سوداء .. لونها أصفر شاحب .. من طاقة

عالية يتصاعد بخار كثيف يتمدد فى بطنها وينكمش . .
تعلقت أكثر بعمودى السرير . . صرخت . . يا مدااد !

فى خارج الغرفة بادلها الرجاء مدد يا أبو العنين . .
فكان الوليد .

- ج -

لماارتاح على ركبة أمه سأل مين أبو العنين : قالت مدااد . . لما التمساح بلع الطفل فى المولد نادى عليه وقال هات الولد . . بكى التمساح ورمى الولد وقال والنبى سامحنى يا أبو العينين !

- د -

فى المدرسة نسى يكتب الواجب . . انحنى على التختة وقال آخر مرة والنبى يا أبو العينين .

منتهى الهدوء
(٢)

في الصيف ، على عتبة الباب وقف ونادى بأعلى صوته ولد يا . . افرش المصطبة وهات القله جنبى وولع شوية تبن علشان الناموس . . ليلتها القمر اتخنق من الدخان . . وساد الظلام . . !

سمع الصبح الناس بتحكى . . صعب عليه القمر . . نادى فى الليلة الثانية . . يا ولد . . هات صفيحه . . وقول ورايه والنبى يا بنات الحور . . خلوا القمر يدور . . ودار القمر . . !

سمع الصبح الناس بتحكى . . شكل هنية وضفايرها . . ومحمد وهو ماسك إيدها . . !

أشعل التبن أكثر . . ونفث بشدة دخان الجوزة فى وجه القمر . . ولكنه لم يختنق !

رفاعى

(٣)

نور القمر مفروش على الكويرى والترعة وبيت رفاعى الضيق . . !

والزير تحت التوتة مربوط فيه علبة صفيح بيضاء من الداخل وأى لون من الخارج . . !

الصبح من ندى التوتة النازل فى الزير يشرب رفاعى فى جوفه الساخن ليلا ليهدأ . . !

ليله تطارده الوساوس ، ومنظر عليه ساعة غسيل القمح فى الترعة يملأ عليه عشته . . كل عام فى انتظار موعد الحصاد وغسيل عليه للقمح . . فى يوم شرب وشرب وسرت برودة فى جسمه . . كانت فحول التوت قد ملأت الزير . . مسح سور الكوبرى بيده . . قعد . . . يومها الشمس غابت . . من بعيد عصفور أزرق على شط الترعة

نفض ريشه .. طار على التوتة .. نزل على الزير .. شرب من الكوب .. يومها ملأ رفاعى الكوب وقال لعلية ..

من ريق العصفور ملأت الكوب .. ومن ندى فحول التوت حليته اشربى يا علية ...!

العام الأول مر والثانى أيضا مرّ والثالث أيضًا سيمر .. ورفاعى على الكوبرى قاعد لما الشمس تغيب ويجىء العصفور الأزرق ويملأ كوبًا آخر لعلية ..

فى يوم من الأيام لما التوتة كانت ناشفة .. نزل العصفور الأزرق .. وبسرعة دخل العش .. احتار رفاعى لماذا لم يشرب من الزير ..؟!

العلبة الصفيح سودة من جُوَّة .. وسودة من برة .. ونامت فحول التوت فى جوف الزير منزوية ورفاعى لازال يجلس على الكوبرى .

هكذا دائمًا

(٤)

- أ -

سوف تحل المشاكل فى البلد دون الذهاب إلى مقر العمودية فى البلد المجاورة . . لم يكن ظهور الحاج إبراهيم سببًا فى رغبة المركز فى أن تتمتع القرية بالحكم الذاتى ، وإن كان يمتلك الآن الأطيان التى تمتد من مدخل القرية حتى حدود الوسية ، الفضل فى ذلك يرجع إلى والده كما يحكى الناس هنا . . كان يشتغل أجيرًا فى زمن الإقطاع ، ولما كان يتقن الخط والحساب ؛ فقد أسندت إليه مراجعة حسابات الوسية من داخل وخارج . . ولقربه من فلاحى القرية كان بارعًا فى إقناع كل فلاح بما لديه ، فى البداية أعاد تقسيم الأرض على المستأجرين من الفلاحين ، وضرب بين كل قطعة وأخرى جسرًا رقيقا . . وجعل الأرض كلها حوضًا

واحدًا ، تتخلله جسور هندسية . . كان يطمح بهذا التصرف إلى شغل الفلاحين ببعضهم البعض ، وبنظام الرشا والدراس وسكة البهائم . . بعد وقت وقف الطربوش فوق رأسه منذرًا بشّر مستطير إن أسقطت له كلمة ، وبجانب المالك يسير بحماره يلعن ويسب كلما عثرت بغلة سيده فى جسر أو روث أو حتى فلاح يمر . .

- ب -

ولم يكن الدافع أيضًا تنافس النسوة فى إنجاب الأولاد والبنات ؛ بحيث ضاقت الأمكنة وكثرت الرءوس وتعددت المشاكل . . وأصبح البيت الواحد عامرًا بأسرتين وثلاثة . . فنجاح مثلًا أقسم على ولده أن يزوجه ، وباءت جميع أعذار أبيه بالفشل مما اضطره إلى الاستيلاء على حجرة أمه الحاجة ست . . ولا زالت تدعو الله أن يضيق عليه حتى ماتت ولازال نجاح يعيش بأسرة مكونة من خمسة أفراد وزوجه فى غرفة بالمقعد العلوى . . ولم يكن أيضا بسبب التناحر بين عائلتى خير الله والبقرى . . إذ إن المشكلة أخذت طريقها السلمى عندما أعلن الشيخ الأزهرى أن الصلح خير . . وأوصى عائلة البقرى بأن تسمح لعائلة خير الله فى أن يفتح أحد أفرادها شباكًا فى الجرن . . كل هذه المشاكل وغيرها الكثير بات من السهل حلها الآن بعد أن اقتنع الناس بقلة هيبة العمدة والمركز والشرطة بل والحكومة . . وخصوصًا بعد القياسات المادية التى يلحظها الفلاح بلؤم عندما يذهب إلى محامٍ ومركز و. . إلخ .

- ج -

الناس لابد من أن يحكمهم إنسان منهم .. يعرف دخائل النفوس وأصل كل عائلة ، صحيح الثراء ازداد وتفحل فى عائلة البقرى بعد العودة من السعودية .. لكن الهيبة منهم معدومة ، فالناس تعرف جيدًا أن أصلهم يعود إلى خسة ونذالة ؛ حيث توصيل الأخبار إلى العمدة والباشا .. والناس أيضًا تدرك من يكون حجاج المرابى الشره الذى استولى على أراضى معظم الفلاحين .. والحاج إبراهيم وأصل أبيه وفلان الغفير النظامى لدى الباشا وكيف ضبط فى الزراعات بالقرب من الترعة القبلية .. وعبد الواحد صاحب الكيف (وأبو المزاج) كله .. كلنا فى القرية مفضوحون مستوردون .

(د)

الذى حرك المأمور بالفعل هو قلة هيبة العمدة فى البلدة المجاورة ، وخصوصًا بعد فشله فى تربية ابنه محمد . . صح زوجه وأسس له بيتًا واختار له زوجة جميلة ، لكنه كان كالثور الهائج فى البنات أيام جمع القطن وضم الأرز ، والبنت بتاعة الصافية اللى ختها فى الملال .

(هـ)

هذه هى المرة الثانية التى تحرك فيها الشيخ الأزهرى . . وبعنف خبط على المنبر . . بعدها تجمع الناس بعد صلاة الجمعة وطافوا على كل بيت كل واحد يخلى بنته فى داره . . البنت فى الدار منصانة وفى الأرض منهانة . .

(و)

ظاهرة الكلاب المسمومة انتقلت إلينا من البلدة المجاورة ، خوفًا من افتضاح المستور .. سرقة البهائم .. الغلال .. الأرز .. المواعيد الغرامية و .. أشياء أخرى ، أما مصطلح حاميها حراميها فقد أخذ فى الظهور شيئًا فشيئًا ، وبات من الأكيد أن سبب سم الكلاب يرجع إلى الغفر ، فلقد شوهد عبده وهو يدحرج لكلبٍ بلقمة لوثها بالمرق وعندما جثا الكلب فرغ له بقايا فرخة بيضاء مسمومة ..!

(ز)

أما التجمعات السرية فقد لاحت وطغت رائحتها ولم تعد سرية ، فالناس الآن فريقان أنصار الحاج إبراهيم وأنصار محمدى الغفير السابق . . أما لعبة الرموز الانتخابية فلها لون آخر عند إبراهيم على أحد هتافى القرية المشهورين ، والذى أشعل المنافسة أكثر عندما همس فى آذان محمدى فى أن يختار رمز النخلة ويترك رمز الجمل حتى يقال يوم الانتخابات سنربط الجمل فى النخلة وبكرة هنعمل الزفة . . وغطت شوارع البلد مساحات خضراء من النخل الملتف فوق الجدران وتعفرت الطرقات بخفاف النوق .

(ح)

وبالرغم من من سوء الاثنين إلا أن الكفة كانت مائلة ناحية محمدى ، فهو وإن كان غفيرًا له تاريخ أسود فى مساعدة الوسية والنيل من الفلاح . . إلا أنه كان يعمل فى حدود ما يكلف به . . كان يحضر الجمع والأعراس والمآتم . .

ويزور المرضى . . أحيانا كان يصافح اليتيم وخصوصًا أولاد نعيمة .

والناس تأنف من التعالى والتأفف . . ومنظر الطربوش والشيخ المتصابى وشلة التطبيب . . لذلك كان محمدى أوقع فى ذلك من الحاج إبراهيم .

(ط)

إبراهيم على يأكل على كل الموائد .. يوم الانتخابات ؛ حيث العربات التى تقل الناخبين .. كتب لافتة عليها رمز النخلة وأخذ يهتف ربطنا الجمل فى النخلة وفى العربة الثانية كتب لافتة عليها رمز الجمل وأخذ يهتف حلينا الجمل من النخلة ..

صباح ريفي جدًّا

(٥)

يا وليه . . صحى العيال علشان المدرسة . . واد يا علاء يا وله . . صحى أخوك . . أدفن رأسى فى البطانيه . . والسخونه و الكسل يلعنان الأستاذ عاطف فى صمت . . فلم أستطع أن أحل مسائل الحساب . . الشيخ رفعت يقرأ قرآن الصباح . . هاتى اللبن يا وليه علشان أحطه على البابور . . يتحرك علاء تاركًا مساحة للهواء البارد كى يشاغلنى . . وتلعن قدمى التى تعرت علاء . . فقد زاح الغطاء بعيدًا (اجعلنى على خزائن الأرض) . . الله . . وش ش ش . . فذ يا واد يا على . . فذ يا بن الكلب علشان المدرسه . . والنبى يا أبو محمد خلى بالك من الرز على بال ما أطلق البط . . مصلطش ليه يا ولد . . لسه هاصلى الله أكبر (وجاء إخوة يوسف) . . صحى أخوك بالراحه علشان . . يرضه يقوم . . عايز قلم رصاص ومساحه . . لما تيجى أمك إبقه

قلها . . يله علشان الطابور . . هات الورقه ديه . . لفها . . أى . . الحلة سخنه ليه كده . . اسكت يا بن الكلب على الصبح . . اللبن كان هيهرينى (قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) . . مش عايز سكر على الرز . . عايز لبن بس . . يا علاء . . تعالى يا هلال . . خش . . خلص يا على البس مريلتك . . أىْ الجزمة بتاكل فى رجلى . . مدرسة صفا . . انتباه . . تحيا جمهورية مصر العربية . . تحيا جمهورية . . قيام . . جلوس . . على محمد عبد الخالق . . أفندم . . فين المصاريف . . مجبتش . . اطلع على السبوره . . هجيب الفلوس امته . . يوم السبت ياأستاذ . . ومجبتش النهارده ليه . . يوم البست علشان السوق . . الولد يدرك أن أباه لن يقدر على دفع المصاريف إلا عندما يذهب إلى السوق كى يبيع السمن البلدى والأستاذ بابتسامة « خش مكانك يا على » . . !

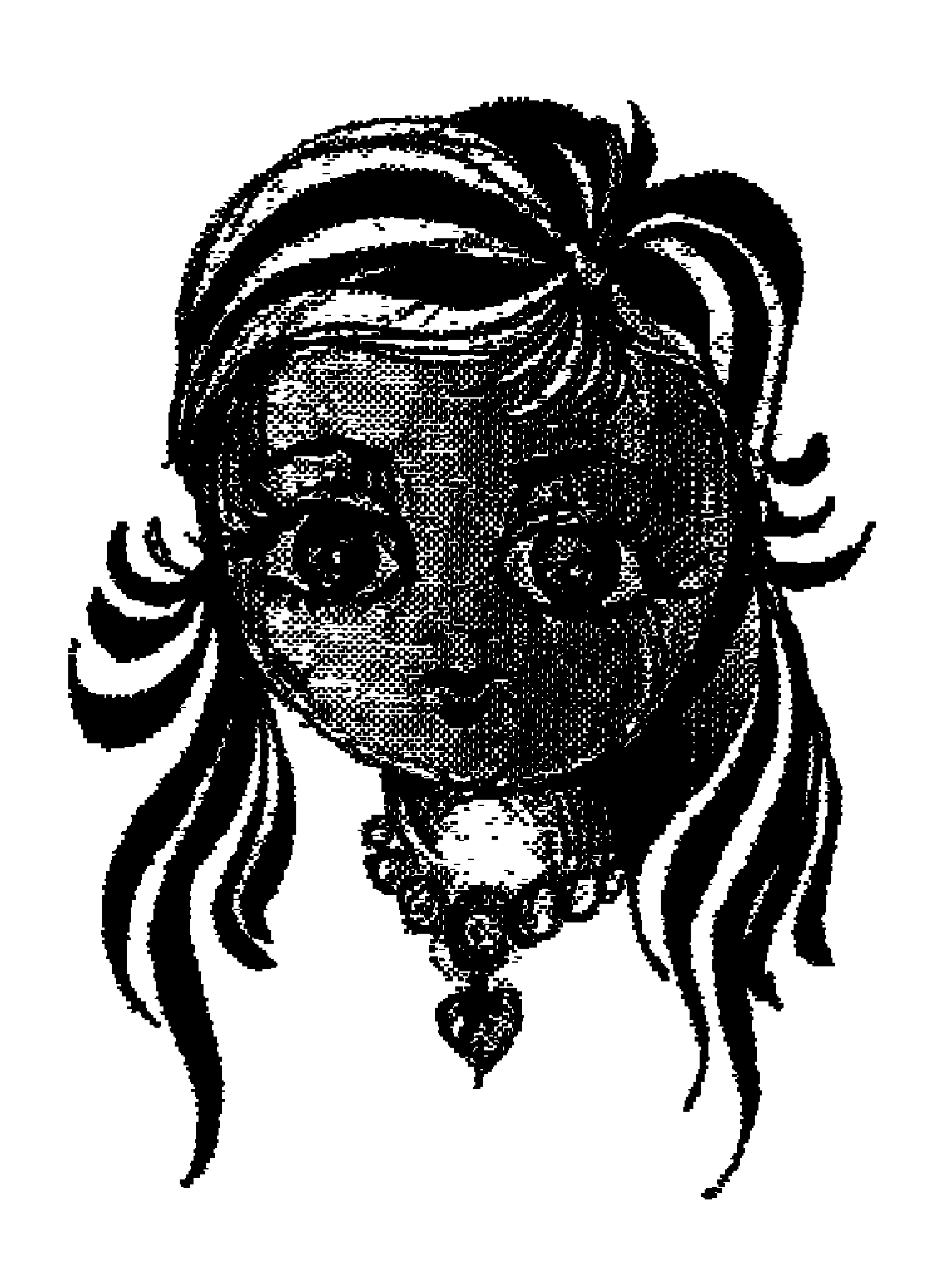
***

« ما تقول فى هذا . . وأشار إلى رجل متنبذ عنا ناحية . .

قال اسمه حاتم ويكنى أبا البقاء . . فنظر إليه ساعة يسيرة ثم قال : هو رجل عاشق فقال له : صدقت ، فمن أين قلت هذا ؟ قال لِبَهْتٍ مفرط ظاهر على وجهه فقط دون سائر حركاته . . فعلمت أنه عاشق وليس بمريب . »

طوق الحمامة .

رابعًا : إيقاعات مختلفة



(١)

أضغاث

الليل عسعس . . والبحر تنفس . . وموجه ينبر بعنف . . . أما الشارع فطويل مخنوق بانحنائة فى آخره . . وفرع ينتهى بدرج ثم باب ثم غرفة مكتومة ساخنة . .

من الفرع نزل . . تخيل الشارع أنثى تحتضن رجلا . . وصوت سيارة يترامى إليه من بعيد . . الشارع متضرس . . وقف فى منتصفه داعب باليد اليمنى . . أحس بتهدل النهد . . وصوت السيارة يفترق . . هيأ نفسه لحضن ساخن . . اختفت الأشياء من حوله . . يتنفس الآن عطر المرأة . . أحس السخونة تسرى فيه . . تجردت . . تقترب شيئًا فشيئًا . . الرؤى تزداد تعطلاً . . تاهت معالم الأشياء . . فانتفض الدم يلون الشارع . . وفاض حتى نهاية الفرع إلى غرفته البعيدة . . بعدها تنفس الصبح .

(٢)

أمى

الجو حار جدًا . . زاد من ضيقه حركة الركاب . . اليوم تأخر أيضا بعض الشىء بسبب الإجراءات الحسابية التى تأتى مع نهاية كل شهر ، لكنه فى النهاية ظفر بالمرتب وسيعود .. سيعود لابنه محمد الذى انتظره سنوات ، وبعد محاولات مضنية طافت خلالها زوجته بكل عيادات أمراض النساء والولادة . . ولم تفلح غير وصفة الست أم هدى ، التى أنجبت الأول والثانى والثالث وحامل فى الرابع . . الكبسة - والكبسة هذه إذا كنت لا تعرفها أن تجلس المرأة فى طست ملىء بالمياه الفاترة عارية تماما وتطلق بخورًا معينًا - أعتقد بخور جاوة وثلاث حبات من عين العفريت ومستكة وزعفران وشبّه ، تفعل هذا بعد الأذن الأول لصلاة الجمعة ، ثم يأتى الزوج بعد الأذان الثانى ويضع الرصاص المذاب فى غربال يتوسط رأس المرأة وتبقى هكذا حتى نهاية الجمعة - زاحمة خوف عليها من الرصاص المذاب ؛

لذلك أوصاها بوضع فوطة فوق شعرها .. فى النهاية أتت
له بولد مليح ، ابتع له التورتة كما طلبها بصوته .. با .. با
.. إبا .. هـ ت . ت لى معاك تورتة » عندما وقف أمام ڤاترينة
الحلويات تذكر أمه وكيف كانت تعجن البسيسة وتقدمها له
مع كوب اللبن الدافئ .. داخله رجاء أن تحتفل أمه
بحفيدها معه .. ضايقه إصرار الزوجة على عدم حضورها ،
ود أن يفرش بالتورتة الشارع .. يدهسها بحذائه .. وفى
كل مرة يتخيل وجه زوجته التى تقف لأمه دوما .. سيطرت
عليه نبرات محمد ونظرة عينيه .. فتراجع .. بدأ فى تهيئة
المناخ بهدوء .. لو سمحت ممكن تكتب عليها سنة حلوة
ماما وبابا وتيته .. ارتاح لتصرفه .. اليوم حضورها بالاسم
فقط فوق التورتة وغدا هدية باسمها لمحمد وبعد غدٍ عزومة
فى بيت ماما على حسابى .. لا بأس .. المهم أن أنجح
فى لم الشمل .. دفعه بكتفه وهو يمر .. كادت التورتة تقع
من يده .. رن فى أذنه صوت محمد .. با .. با .. إباهـ ت ت
لى معاك تورتة .. مسكها جيدا .. جعلها فى مواجهة
النافذة حيث تيار الهواء الرطب تعطلت حركة السير ، أثبت
لنفسه أن المسافة لم تعد بعيدة ، وأنه بعد دقائق سيكون مع

ابنه وزوجته وبصوت مغرد سيقول .. سنة حلوة يا جميل ..

عندما نزل من الأتوبيس واجهته لافتة « الهيئة القومية لرعاية الأمومة والطفولة » .. وقف دقيقة وبعدها بدقائق كانت أمه تتقدمه على سلم شقته .

(٣)

غرفة عمليات

وصفى محمد إبراهيم .. نزيل الغرفة رقم واحد .. الآن فوق سريره .. إلى أسفل تشده أشياء .. مربوط من منتصفه بالسرير .. هذا هو اليوم الثانى له .. ربما الأخير .. ربما الأخير .. ربما أيضا هى المرة الأخيرة التى يسمح فيها لمشرط الدكتور كى يجذ فى جسمه .. لن يفعلها ثانية .. تطارده أحاسيس .. لا .. يطغى عليه الألم .. وحرقان الجرح .. ود لو يقرأ الجريدة .. العطب فى جسمه .. فى أسفل .. فى مؤخرته .. ربما تكون مؤخرة حياته .. ظن ذلك .. ود أن يحبس ريحا صرصرًا وبقوة دفع قطار القرن التاسع عشر يطير بالسدة القطنية والبلستير .. الغرفة شيك جدا .. منظر يسرا وعادل إمام فى المولد يحركه ذهنيا فقط .. لا فرق الآن بينها وبين المليجى فى الأرض .. المرة الأولى التى دخل فيها للطبيب كانت بسبب أنفه المبطوش .. تمددت بفعل الجيوب الأنفية

حتى غطت وجهه .. تضايقه فى شربه وشكله .. لو سمح لشاربه بأن يخضر قليلا لتغير الوضع .. لكنه لم يكن .. وحتى ولو تركه سنة كاملة .. جرب ذلك فى الجيش .. ولم يفلح فى ذلك .. غدت أنفه مدببة فى حدة دبوس ، المقارنة بين حركة المشرط فى أسفل وحركته فى أعلى مستحيلة .. لأنه لم يحس إطلاقا بها .. كل ما يذكره فى العمليات سؤال طبيب الأنف له .. ماذا تعمل .. ولم يجب وكان مستعدا وحذرا فى المرة الثانية ولذلك أعد الإجابة فقال .. أعمل فى الصباح فى مدرسة الروو .. وفاق على حركة العربة وهى تنقله من غرفة العمليات إلى سريره .. يذكر فارقا مهما .. فلقد سأل طبيب التخدير عندما خرج من العملية الأولى .. قال له ..

ماذا كنت أقول يا دكتور

قال .. لا إله إلا الله

وسأل الطبيب فى العملية الثانية .. فلم يجب عليه .. ؟!

(٤)

ملل

لكن ألفته للقلم والورقة دفعته ليكتب شيئا .. وهو يدافع إحساسا بالعجز والنضوب ..

نظر للمكان حوله .. مكان ضارب فى القدم .. يأتيك هذا الانطباع من خلال النظر إلا ديكوراته القديمة .. فى السقف شبابيك من الأرابيسك الدقيق مدلاة بأحبال قديمة مضفورة بغلظة ، مدهونة بلون من السواد .. يذكرك بالأحبال التى كانت تلف قديما على سوارى السفن .. السطح مطلى باللون البنى الغامق .. المكان يمنحك لونا من البطء المتراخى الملل .. والذى يظهر من حركة العمال والضيوف .. والرتابة الشديدة فى إعداد الوجبات للزبائن ..

حسنا .. وجد الفكرة مرسومة على الزجاج المطعم .. ورد أبيض بلدى .. باهت اللون .. ملتف على قطع من الغاب السميك الذهبى اللون .. لا يدرى ما سر هذا التجانس بينهما .. لون الوردة الباهت ذكره بزوجته بعد

سنوات من زواجة . . إذ كان فى الإمكان تغيير لون الوردة فتكون جذابة تنبض بالحياة ، وتشيع جوا من الأنوثة والألفة عند النظر إليها . . فلم لا يكون ذلك مع زوجته . . لكن لماذا ارتبط مفهوم الأنوثة بلون الوردة ؟ . . ربما لقرب الوردة من نوع برفائها . . ربما لعلاقة الحب . . والذى بدأ هو بها فى مراحل حبه الأولى قبل الزواج وهو يمد يده بوردة بيضاء حية ، وهى تضع يدها فوق يده . . وفى تآلف واحد ينهلان من عبق الوردة وردة الحب . . لكنها لاتنى أن تفعل ذلك مرارا وتكرارا . . صباحا عند ذهابها إلى الشغل ومساء عند زيارة الأصدقاء . . فلم لا يجد ذلك منها ؟! فتش فى ذهنه عن شىء ربما العادة هى السبب ، تعودك الأشياء يفقدك بريقها . . فالوردة على بهوتها تنسج مع عيدان الغاب جوا من الجذب والهدوء والراحة . . قرر أن يعيد النظر لزوجته من جديد . . ومن جميع الزوايا . . تأكد له هدوؤها . . فقط ساعة نومها . . أما الجاذبية فعند خروجها فى صحبته إلى شغلها ، يشغله الآن أن يرى الهدوء والجاذبية والسكينة فى وقت واحد تأكد ذلك عندما داعبت خصلات شعره البيضاء .

---

(٥)
صوت الحق

(اقتربت الساعة) . . وهو ممسك بميزان معدنى صغير يتدلى من يده . . تساوت كفتاه . . ترن ترن . . آلو . . أفندم ،، « شوف بأه المسافة بينى وبينك قريبة جدا . . إنت عارف إنى أقدر أطولك وأخرب بيتك يابن . . » هتشوف « وانشق القمر » . . لمن ؟ لسيدنا محمد . . فلقد وقف فى وجه عمه الظالم وقال « أعط الأجير حقه » لكن الظلم كان وقتها شديد وأنواع . . واليوم ؟! فى صمت أكثر وأشد . . ويهدوء يضغط فوق الزر . فيعلن رغبته فى فنجان قهوة محروق . . يتهيأ للخروج . .

المسافة المتبقية أمامه ربع الساعة . . عيناه من الغضب تلمع ؛ إذ كيف بصعلوك مثله يرفع صوته عليه ، لكن مسألة رفع الصوت هذه بسيطة ، فلقد جمع الرجل بأشياء محمد (ﷺ) وضمه إليه فى شدة وعنف قائلاً له « أعطنى مما أعطاك الله ، فالمال ليس مالك ولا مال أبيك » وطرق الباب

.. تهيأ الرجل ليفتح له .. فوق أطراف أصابعه ينظر من كوة الباب ، يعود مرتعدا .. طرق الباب ينذر بعنف .. يعود متواهنا ..

الأشياء من حوله تطل عليه بألوان قاتمة .. الجدار السماوى .. السجاد .. العرق المتساقط .. ضوء النيون المنبعث .. الريق الناشف رعدة الشفتين .. السفلى أكثر .. رعشة يديه .. المشاهد الكئيبة الساكنة .. كراس .. كتب .. زوجته المشدودة إلى السرير فى يأس من شفائها .. تحرك مسرعا ناحيتها .. فتح باب غرفة النوم على مصراعيه .. حيث أنين الزوجة المنبعث فى سقم ومعاناة .. عاد مسرعا ؛ حيث اختفت الطرقات قليلا .. قلَّت حدتها الآن ..

أصبح كل شىء الآن فى شقته ينبؤ عن رجل مهزوم .. قليل الحيلة .. بهدوء وتواهن يفتح الباب (واصبر فإن الله مع الصابرين) .. (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)، بهدوء أيضا تعلوه البسمة (إن الله يحب المحسنين) .. قالها وهو يعود مسرعًا إلى سيارته .. حيث الميزان المتدلى مع صوت الشيخ رفعت ..

(٦)

شحتة يذبح معزة

هذا هو السيناريو الذى حدث بالضبط ، والذى طالعته من بلكونة الشقة . . الشمس يومها كانت ساطعة ؛ ولذلك آثر أن يؤخر موعد الذبح إلى ما بعد الظهر بقليل ؛ حيث عودة الموظفين إلى بيوتهم ، وشحتة هذا ينطبق عليه وصف الجاحظ الذى وصفه لمحمد بن عبد الوهاب فى رسالته الشهيرة التربيع والتدوير . . الفارق الوحيد بين الاثنين الشارب الأصفر المنحول . . والذى يمتد على مساحة شاسعة من الخلاء ، بحيث لو وقفت خلف شحتة لأبصرت فى كل جانب شعيرات رفيعة ممتدة . . هذه الشعيرات تأخذ فى القلة حتى تبصر شعره أو اثنتين فى كل ناحية . . الدكان ضارب فى العمق . . تعلوه أرضية الشارع ، إذا دخلت إليه احتكت رأسك بعتبة الباب العلوية . . ولذلك دعا شحتة فى يوم ما حدادا ، وبهندسة بسيطة أشار عليه الحداد بأن يمد من داخل - الدكان - ثلاثة أسياخ من الحديد الصلب ،

ليتمكن من تعليق الذبائح الثلاثة فى وقفة عيد الأضحى . .
إذا مررت بالشارع أبصرت الآن لائحة مكتوبا عليها . . دكان شحتة الجزار . . وثلاثة أسياخ وذبيحة واحدة معلقة تعطب ولا تنقص .

مناورات الذبح :

المعزة تقف دائما بالقرب من الدكان ، وهى مربوطة من أرجلها الأمامية ، كان الرباط على ما أذكر فى قدم واحدة ؛ إذ إنها ليست بالقوة التى تشد الحبل وتقطعه . بدأ شحتة فى سن سكينه . . وقف أمام المدخل ، وأدخل يده من فتحة جلبابه الأبيض وجذب بها طرف الجلباب ، فتدلى من الفتحة بعد عقدة محكمة . . كانت العقدة على ما يبدو تثقل شحتة وهو يناور معزته ؛ إذ مرارا ما أبصرته يشد العقدة إلى أسفل حتى تثبته فى الأرض ، وكثيرا ما كنت أدعو وأنا فى البلكونة أن يسترها الله مع شحتة ، فتنفلت العقدة فيقع شحتة على ظهره فارشا الشارع . . اتجه ناحية المعزة . . لكزها بخفة ومهارة . . وعلى الفور أخذت فى المأمأة . . اتجه إلى قدمها . . حل القيد وبقوة جذبها . . ووسط احتشاد أطفال الشارع ، والذى انتقى شحتة منهم أشدهم وأغناهم . . طرح

بالمعزة أرضا ومكن كل طفل من مسك قدم . . الجلبة فى الشارع ممتدة . . وهى لا تكل عن المأمأة . . عاود سن السكين . . وبخطى وئيدة تقدم . . فى هدوء رفع كم جلبابه . . اتجه ببصره إلى البلكونات ، لم يبصر أحدًا حتى أثار تضايقه بعض الشىء . . ابتسم عندما غص الشارع بشلة من موظفات التأمين الصحى . . ارتفع صوته بسم الله الله أكبر الله أكبر . . امسك جامد . . وبخفة ومهارة كان دم المعزة يغمر الشارع . . وشحتة ذكى جدا ، ولذلك قام برش الشارع بالماء ، وأسرف فى ذلك ، حتى إذا سال دم معزته امتنعت أرض الشارع عن شربه . . ويصبح دليلا على نضارة لحم شحتة . .

السلخ :

حكى لى محمود أبو حديدة . . وهو جزار فلاح تمرس مع والده الحاج عبد الله على ذلك . . كانت بداية انطلاقه فى عيد الأضحى ؛ حيث تتأزم الأمور عند أصحاب الأضاحى ، ولذلك أهله والده لذلك اليوم . . هو فى سلخه يختلف بعض الشىء عن شحته قد بدأ فى سلخه لمعزته من ناحية الرقبة متجها إلى مؤخرة المعزة حتى ذيلها . . فإن

محمودا على العكس منه ؛ حيث يبدأ بالذيل منتهيا بالرقبة . . التشابه الوحيد الذى أستطيع أن أذكره الآن هو نفخ الذبيحة بعد ذبحها ، ولقد سألت محمودا العيد الماضى لماذا النفخ قبل السلخ فقال : حتى يسهل عملية السلخ - أى فصل الجلد عن اللحم والشغت ، وحتى يساهم فى إخراج ما تبقى فى بطن الذبيحة من مياه وأوساخ ، وحتى يعجل بخروج الدم منها ، وسألته ولكن الجزار الناصح يجعل الذبيحة تحتفظ بأكثر كمية من الدم حتى بيعها ، فقال فى أضاحى العيد تختلف الأمور .

وشحتة فى عمله نظيف ودقيق ، عندما فرغ من السلخ وخلافه حمل أمعاء ومخلفات المعزة فى شنطة بلاستيك سوداء راميا بها فى صندوق الزبالة . الجلباب أبيض . . تملؤه بقع دم متناثرة - ولا أعرف من أين فالمعزة على ما يبدو كانت هزيلة لدرجة خلوها من الدم

المرحلة الأخيرة . . التقطيع والتعليق . .

بمعاونة السيد إمام حمل شحتة المعزة من الأقدام اليمنى ، وتعلق إمام بالأقدام الخلفية ، وفى نفس واحد طغى صوت على ضجيج الشارع قائلاً هوووب . المسافة

بين الخطاف والذبيحة قليلة ربما سنتيمترات . . . ترتخى أعصاب شحتة فتنفلت الذبيحة مرة واثنتين ، ربما يفعل ذلك ليوهم السيد إمام بثقل الذبيحة ونضارتها وربما أيضا ليلفت نظر المارة إلى ذبيحته . . المعزة الآن غدت معلقة . . وبخفة ألبسها شحتة قميصها الأبيض الشيك ، وعلى باب الدكان تناول الكرسى فى انتظار الزبون .

(٧)

قصة سريعة جدًا

الشيء الذى يسرى فى فمى مرٌّ غريب . . أضم الشفتين بإحكام . . أمص الريق حتى أميزه . . أهرع إلى كوب الشاى الموضوع على المائدة . . رشفة . . اثنتين . . ثلاث . . أهبط درجات السلم مسرعا . . أتعثر . . أسند بيدى . . تصادفنى دائما درجة السلم المأكولة الحرف . . أقفز فى الشارع . . ألتوى . . يمينا . . يسارا . . كم الساعة الآن يا عمو ؟! . . صباح الخير يا بنى . . كل يوم صباح . . كل يوم خير . . كل يوم يد ممدودة تتوسل العطية . . اليوم الأول أبادر حتى يخفف الله عنى . . الدعوات لا تتوقف . . ربنا ما يحوجك لأحد ، أتلذذ بالسماع . . ويملؤنى إحساس هادى . . أتخطاها مسرعا ، ألتقط جريدة . . أكبر فائدة لها أن تضع عليها كل يوم الطعام . . بنك دم للكلاب تابع لمستشفى هلنجبورج . . نداء

لأصحاب الكلاب . . نداء لأصحاب القلوب الرحيمة . .
نرجو إحضار الكلاب إلى المستشفى لإنقاذ حيوانات أخرى
مصابة بسرطان الدم . . أو فى حوادث الطرق . . أو عضتها
الأفاعى . . بالمناسبة يقول الجاحظ لولا النمس لأكلت
الأفاعى أهل مصر . . ثلاثون طفلا يموتون بسبب الجوع
والفقر . . عصر تقدم الإنسان ورقيه . . تضغط على ذرٍّ . .
سريعا إلى البيبسى كولا والماكدونالدز . . هناك اقتراح ظهر
أخيرا . . يرمى إلى استبدال المياه بشىء آخر نظرا لتفاقم
المشكلات حول المياه . . أفتح الحنفية بقوة واندفاع حتى
تسقط المياه تنظيف الشعر المتكتل داخل مكنة الحلاقة ؛
كى أتمكن من استخدامها مرة أخرى . . ربما ثلاث مرات
فلحيتى خفيفة . . أستقل الأتوبيس . . اليوم غير عادى . .
والسماء ضابية وأعطس بشدة . . فالأنف عندى حساسه
جدّا . . هدوء . . كراس متعددة . . فارغة من الجالسين
. . أرتاح بجنب شباك مفتوح والشارع يطل علىّ بألوان
متعددة . . أنت جميل فكل شىء جميل ، أنت حزين . .
قرفان . . فكل شىء تطغى عليه الكآبة والحزن . . وأتذكر
الشاعر وهو يقول أصغى لأوجاع الكآبة والكآبة لا تغيب . .

هل قال تجيب أم تغيب لا أذكر . . سيارات تمر . .
إعلانات . . صافي يا لبن حليب يا إنجوى . . الهيئة العامة
لنظافة وتجميل القاهرة . . اللى عايز الدقى . . ملاكى جيزة
٢٣٤٦٥٧ . . الهيئة العامة للمستشفيات والمعاهد
التعليميَّة . . يتكلف تعليم الشاب حتى الجامعة خمسين
ألف جنيه . . حسب تقرير الهيئة ، أزعم أن ثلاثة أرباع
المبلغ ذهبت فى شراء الشنط والأقلام والكراسات والطباشير
والسندويتشات . . وبالرغم من ذلك فلا زلت أتعثر فى
معرفة الزاى والذال وأيهما أخت الراء والدال . . خطوات
قليلة . . وصلت للعمل - ارتاحت أعضائى . . البسمة تعلو
وجهى عندما سألتنى عند مدخل العمارة ، الساعة كام
يا عمو ؟ ثمانية إلا خمس دقائق . . يعنى جرس المدرسة
لسه مضربش . . نعم . . مديريدخل . . لا جديد . . وأنا
والكرسى والمكتب والقلم والكتب مكدسة فى المخازن ،
طريقة تقنية جديدة ترمى إلى تحول الزبالة إلى سماد عضوى
. . حسنا . . فالحاجة الآن إلى مأكل ومشرب أفضل من
قراءة وتثقيف ،كتاب مزخرف ملون . . تعانى البلد الآن من
بقايا أكياس البلاستيك والذى يظهر أثرها السيئ بعد مدة من

الوقت . . مساء الخير يا عم محمود . . أصعد . . أرتاح وسط هذه الفوضوية السائدة فى الشقة . . سكن أعزب . . ملعقة . . علبة سكر فارغة . . حذاء محمد . . بقايا أرغفة عفنة . . كتب . . راديو . . المؤشر مكسور . . تتدلى من السقف لمبة قديمة . . تحجز الضوء بقع سوداء دقيقة . . كثيرة من آثار معايشة الذباب . . فى الليل يأوى إليها . . وفى النهار يأوى إلينا . . وعين ضيقة مثقوبة حادة لامعة أسفل سريرى . . وأردد تطاول ليلك بالإثمد . . ونام الخلى ولم ترقد . . أخيرا – تاهت الرؤية وسكنت بجانبى الأشياء . . إلا من دقات هادئة تنبعث من يدى اليسرى ،، وصوت صرير منبعث من الأرضية . . وليونة فى الحركة تلقم بهدوء بقايا الخبز العفن التى أحرص على تجميعها . . أساهم بحلٍّ لمشكلة الفقر !

(٨)

قصة سريعة جدًا

أن أقول إنه على خلاف العادة . . فهذا رأى لا أستطيع إبداءه . . ربما تقاس ضرورية الأشياء بحجم الإحساس بها وما تشكله لصاحبها . . ولذلك دعنى أقل ، ولكون البرد يسرى فى جسدى مع ظهور الخيط الأبيض . . والذى أتبينه من شيئين . . الفوارق التى يشكلها الباب والشباك . . والجلبة التى تحدث استهلالا بقدومه . . أنا آسف قد لا يكون استهلالا فالشيخ محمد يتعمد أن يطلق القارئ . . والموشح . . والمؤذن و الميكروفون . . والإمام . . فى حرب يشنها علىّ كى لا أنام . . وعبثا أحاول واضعا رأسى تحت مخدتى ، بسؤالى عن الشيخ محمد هذا قيل لى أنه ضرير . . كاره للدنيا وما فيها . . لا يكف عن نعتها وسب ما فيها . . أصم الآن . . فقد تقدمت به السن . . هو يحاول أن يزعج الناس . . حتى لو امتلأت الأرصفة والشوارع

بالمصلين فى الفجر فلن يكف عن ذلك . . وسألته . . لم لا تنام حتى تطلع عليك الشمس ؟! فسبنى ووبخنى قائلا : إن هذا وقت تقسم فيه الأرزاق . فقلت له يامولانا رزقك مضمون . . فماذا تفعل بعد صلاتك للفجر . . قال : أنام . . تبًا لهذا اليوم . . ما كنت أود أن أبدأه بدش بارد هكذا ولكن سخونة تحركت فى جسدى وأشعلته بعدما زارتنى فى منامى . . السبب أنا . . فقد تابعت تمايلها ولم أرفع عينى الثاقبة العاطشة عنها وهى تركب الأتوبيس . . ناهيك عما ظهر عند ركوبها . . عيزاك تِفتْح دماغك وتحل كويس الطرح زى الناقص . . أبتسم . . السماء اليوم رصاصية . . أحيانا سوداء . . صباحا . . أنتقى الأتوبيس المزدحم . . لازلت أعى وأتذكر الوقت والطريقة والمكان والشخص ولون المحفظة وعدد الفلوس وأرقام التليفونات التى سرقت منى فى الزحام . . ولذلك أحرص دائما عند شراء أى بنطلون أن يكون بجيب خلفى له زر . . الجو حار جدًا فى عز البرد ويصعب عليك أن تميز بين الروائح المنبعثة كما يصعب عليك تماما أن تضع شكلا لها . . مشغول بكتابة بحث فى النحو . . اختلاف حروف المعانى . . وجرس

المدرسة يدق . . والأولاد ينحشرون . . قرار جديد يلزم المدراس بألا يحمل التلميذ فوق الثمانية كليوجرامات من الكتب . . كنت أقطع المسافة من بيتى صباحا والندى والطين بفعل المطر وروث البهائم والزراعات وشنطة قماش محلى معلقة فوق ظهرى . . بها كل شىء . . . . حتى العصاة للأستاذ والتى يستخدمها فى ضربى عندما أتأخر . . كان يستخدم الخرطوم أحيانا . . ولا زلت أحتار فى قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) ماذا تعنى هنا تحديدا . . المهم المسافة كانت طويلة . . وظهر التقويس فى ظهرى . . ولا زلت أعانى منه . . ليلا أردت أن أعدل من وضعه نائما على ظهرى ، لا محالة فمن شب على شىء شاب عليه . . ويقى ربع ساعة حتى موعد العمل . . المصعد معطل out of order بجد أعمل . . بتقاعس لا أعمل . . أرمى القلم . . إلى الجريدة إلى التليفون إلى الحمام إلى الصلاة . . . انتهى العمل . . أرجو أن تبحث لى عن فكه . . اصرَّف ما رأيك فى التشكيل الوزارى الجديد ؟ . . يتبقى للأهلى ثلاث مباريات . . المحطة القادمة البحوث قائد السيارة ينبه . . القائد يعرف كل شىء . . شقاء العمل ليس فى

أدائه . . لكن فى الوصول إليه والعودة منه . . أنا لست كسولا ولا أنت أيضا . . أن تصل إلى عملك سريعا فأنت محظوظ أن تعود منه هادئًا فأنت نبى مرسل .

(٩)

« ورطة »

قطع الصمت الطقوسى لرقعة الشطرنج قائلا : منه نوعان . . لكن إصرارى على ملاحقة حصانه حالت دون انتباهى ويسرعة خاطفة خوفا من كر حصانه أخرجت له فيلى قائلا : عظيم . لو نقل حصانه ناحية الطابية ، لوضعت الفيل فى مقابلة الملك له : كش ملك . . عندها فقط سأرفع كوب الشاى آخذًا آخر رشفة فيه . . مبتسمًا ابتسامة ظفر تعلونى . . وأخرج الطابية . . وبات من المحال أن أحرك الفيل ضاربًا الحصان خوفًا من تدشين الموقع بالطابية . . بعدها قال . . الأبيض والرمادى . . ولم أشأ أن أسترسل معه . . فأنا أعرف أنه لا يجيد اللعب إلا فى جوّ حوارى . . فى سرى وهناك البنى الذى رأيته فى قفص مصطفى والذى لا يأكل إلا اللب الأبيض العادب . . يبدو أنه يعانى ارتفاعا فى الضغط ، كثيرا ما كنت أفعل ذلك لأمى عند سفرى إليها

.. أصبحت من عادتى وعادة الأسرة أن يكون الجلوس فوق الصبة بدون إضاءة .. آه لو أسند برأسى فوق ربّة أمى .. أخرجت العسكرى الضعيف ليحمى الفيل .. وأتذكر قول حجازى وأنا أرفعه .. وأخرج له موتًا لموت مَنْ مِنَ الموتين يغلب .. وزاح ملكه وحماه وقال : لا نألف فى حياتنا اللون الأول منه .. رأيناه مرارا عندما كانوا يتحدثون عن مشاكل الهندسة الوراثية وفتاوى الاستنساخ المستحدثة .. يلح علّى فضولى بقول .. وأصبحت فى منطقتين .. أن أدعم خطوطى الأمامية بمدد يأتى من ناحية الشمال من خلال المربع الثالث .. أو أن ألتقط ما يقول .. لا بأس فى أن أتمم ما أريد قوله على عجالة .. وألقى بما أريد كما تنفلت العبارات من خطيب حديث بلا تعقل .. وقلت ويدى تحرك الحصان : لا بأس فهى محاولات لخلق جنس جديد فى فحولة الأسود وجمال الأبيض .. نسيت أن أذكر أن قطعه سوداء .. بمهارة .. وحذق قال كش وزير .. هل ترانا سنرى يوما خروفا يتحدث .. فى صمت ألعن الهندسة الوراثية والفأر والخروف .. سيضيع الوزير .. ماشى ياسيدى .. حصان مع حصان .. ويجيب ولكن حصانك

ضاع بعسكرى ما الفارق . . مات حصانان أى طريقة الموت ، والسلاح المستخدم . . عموما . . عندما يعلن على الملأ أن الإنسان عاجزٌ عن ارتشاف قليل من الماء العذب . . لماذا تلح المفردات على عقلى ؟ . . أسد . . فأر . . ذعر . . عاجز . . قليل ثم نقل عسكرى آخر . . وهو يقول لماذا هذا العداء المستحكم الذى لون علاقتنا به . . وزاح رقعة الشطرنج قليلا وأردف قائلا . . فى كتاب حديث يتناول أيثولوجيا الحيوان قرأت أشياء جعلتنى أعتقد أن الحيوان فى أفعاله لا يصدر إلا عن فهم ووعى وبعد تفكر وتيقن من نتيجة هذا الفعل . . فالدب مثلا . . الباندا . . والذى عثر على الذكر منه فى لندن ، وكانت الأنثى تعيش فى موسكو . . حاولوا تزويجهما ولكنهما ظلا متباعدين طوال الوقت ، وباءت جميع محاولات التقريب بينهما بالفشل . . وقدم كل منهما اعتراضه على الآخر بالنفور . . هذه هدنة . . أم راحة منه لالتقاط النفس . . وحسن التفكير فى النيل من ملكى . . وبخبث أزحت أنا أيضا الرقعة فى استعلاء . . بالرغم من دبيب الروح الانهزامية فى نفسى وقلة الثقة فى لعبى . . قلت : وخوفا من كرة وفرة كانت أمى

تضع العيش فى إناء محكم الغلق بعد أن تفرغ من خبزه . . ولم تزدد العلاقة توترا إلا فى الآونة الأخيرة عندما فوجئنا بعبث فى بعض المفروشات والملابس . . وسألته وأنا أتعجب . . كيف كان العرب يكنون به عن الخير فى البيت فيقولون هذا المكان كثر ، أى كثر خيره . . ؟! فقال : يبدو أنك تتعامل مع المثل من منطق حداثى كحداثة فن أدبى : علت فى صوته نبرة التحدى وبادلته اتفاقا فى ضرورة النيل منه . . وهو يتراقص بتلاين وميوعة . . تراه يحرك فينا شيئا بنعومته . . ما أفظع هذا الخاطر ! . . أنا أسير هذا الشعر الرمادى السائح لو طال . . والعين الدقيقة الحادة لو اتسعت بلونها . . عموما . . لا يشاركنا فى المجلس إناث ليحرك فيهن هذا الشارب شيئًا . .

كانت أمى تذكر أن خير الوسائل كى توقع به هى المفاجأة والدهاء . . وإن كانت الثانية أنفع لتجريبنا إياها كثيرا فى البيت عندنا . . حيث الحبوب داخل الأجولة والخضار فى الأقفاص المعلقة . . وأكوام متناثرة من ملابس متسخة هنا وهناك .

لكن : وراح صاحبى يتعجب فى ضيق : ما هذا

الاستعلاء والتحدى ؟! وما لبث أن ازدادت وقاحته فبادرنا
سويّا بهجوم خاطف . . أسقط بقايا كسرة خبزٍ عفنة علينا
. . وتتخيلنى أنت الآن أنى فى البوسنة والحرب علىَّ من
كل الجهات كل شىء فى المكان يوحى بنزال وحرب . .
رقعة الشطرنج . . صاحبى . . من تعلقت أعيننا به . .
وازدادت الجلبة ، بعدما حضرت أخته تسفر عن سبب
وقوفنا . . ما الجواب إذن . . إذن . . وتضحك فى شره
. . فى أمريكا يعتزمون فتح مصايف ومشروعات غذائية
كبرى وسندوتشات سريعة ومياه غازية . . وفى صمت أفكر
. . لكلا النوعين . . وانبطح الملكان أرضا . . فانفلت
الجيش وعمت الفوضى فى القوتين . . ولا نعدم الآن أن
نرى حصانا يقفز بجانبه . . وفيلا بغضب يدك البيت بنا
وبمن حولنا . . التف حولنا العسكر . . ويبدأ الهمس يسرى
فى المكان . . ثم علا التصفيق والتشجيع كلما فلت منا فى
كل مناورة . . الآن لم تصدر عنه إشارة تنم على استسلام
أو خضوع . . وتحت إلحاح جمع من العسكر نتراجع قليلا
وأمام نظراته ونظرات الأحصنة والفيلة نزداد توهجا . . أما
الوزير الأسود . . فقد أعلن موته منذ قليل ويبقى الأبيض

يسوس العسكر فأمرهم بتحليق المكان . . وتأمين المنافذ . . والحفاظ على مستودعات الذخيرة والمأكل والمشرب والملابس . . ورحت أتقدم فى ثبات . . ويساندنى صاحبى راميا حجرة تتوه شمالا ولا تصيب يمينا . . فى عيد ميلادى السابق أهدت لى خطيبتى ميدالية . . معلق بسلسلتها قطعة بعيون خضراء هادئة حلت ورطتنا .

(١٠)
مقولة سيدى القاموس

والواو من حروف الهجاء .. ولها أن توضع فى بدايتها .. لكن الظلم وقع فحال دون ذلك لكنها صبورة ومحافظة .. واليوم دخل وتغضن لما حذفت الواو من الفقرة ؟ أوضحت له أن الأمور تسير بدونها .. لكن هاله أن تنقضى العبارة بدونها ، فأشار بوضعها .. ولما تمسكت متعللا بتمرد هاوخروجها على المألوف خرج .. لم يدرك أن سبب تعثرى فى الابتدائية كان بسببها ، يوم طالتنى كف الأستاذ عبد الله عندما أسرفت فى ضمها فوضعتها مرتين فى محمود .. تعلمت من الراديو مقولة « محمود أهى غمزت يا حبيبى » وكانت المؤدية تسرف فى ضمها .. لم أكن أدرك معنى الغمز جيدا ، حتى كانت فى عربة المترو .. بعدها تابعتها ونزلت .. والواو أيضا لها بداية وعند تمخضها أنجبت واستوت الصغيرة .. وترفعت أن تدور حيث دوران

أمها .. حكاية يرويها القاموس ، فمرة ضمة وأخرى بسناد فوق الحرف .. وبالمناسبة سألنى تلميذ يا أستاذ لم وضع الناس النقاط فوق الحروف ؟ وأسرفت فى إقناعه ولم أفلح .. قلت له بثقة وهدوء العام بنقاط والقادم بدونها .. وأحمل الآن هم إقناعه هذا العام .. ويسأل لماذا لم يتزوج الله .. وأتمتم باستغفار .. وألعن الولد الموسر الذى يصر على أكل البيتزا قبل بداية الدرس .. وأجيب لم يجد من تليق به ..!

يقول .. أختى

أقول .. هى جميلة حقا .. لكن لم تنته من مدرستها

يقول .. فى الصيف يا أستاذ ..

إنت عارف إنها بتروح المصيف يا بابا .

ربنا يقدر يعمل كل حاجة .. ممكن يعملها مصيف فوق .

عموما هو بيفكر يا ..

لكن أختى طيبة وبتحب بابا وماما وبتحبنى ..

ومسرعا أجبت : ولماذا تحبك وتحب ماما وبابا ..

(١١)

حياء

أخطو ولا أستطيع ملاحظة سريان الأشياء .. أقطع المسافة بين البيت والمحطة فى ثلاثة أرباع الساعة بلا تعب أوكد .. تلوثنى الحشائش ويبلل أثوابى الندى المتساقط والعالق .. أشرطة ضيقة بين مساحات خضراء تتسع لقدمى التى تفلت أحيانا فى مصرف عميق .. أسند بيدى وركبتى .. أقوم .. لا أمل تكرار وقوعى وسيرى .. سرعان ما تعودتنى الأشياء فاتسعت لى ، وعطرتنى الأشجار والحشائش وأنا أسير فتعودتها .

اتفق العرف والأهل على التقديم لكل زملائى بمدرسة ثانوية قريبة .. واتفقت أنا معهم على مدرسة أخرى .. ألاحظ تنهيداتها المتلاحقة وهى تطوى الأرض بلا تعثر كى تلحق بموعد القطار .. أقف قبالتها .. لا أحيد بناظرى عنها .. أرمق من يقف بجانبها بنظرات .. يفسر الرجل معانيها يبتسم أحيانا ويفسح لى المكان .

يودعني أبى وهو يحمل حقيبتى فوق حمارته .. وهى تقف صباحا لتودع القطار ، أرسل ورقة لأبى وبها سطور بيضاء .. أود أن أذكر شيئا أعود حيث الطريق المعبد .. نهارا .. أستيقظ مبكرا ؛ حيث الشريط الضيق أسير - صوت القطار يأتى من بعيد .. نسيت قدماى الشريط .. تفلت حيث المصرف العميق .. أقف فأكبو .. وهى تلوح من شرفات القطار . . !

(١٢)

مجرد رأى

هل تحسب العواطف بالورقة والقلم . . هكذا فعل . . !

أراد أن يضع درجة لعلاقته بها . . وبالرغم من كرهه الشديد للحساب الذى حول من أجله من القسم العلمى إلى الأدبى . . احتار شيئا ما فى البداية . . تذكر مقولة شهيرة « كل امرأة فيها من الأنوثة شىء » وضع على أساس ذلك لها خمس درجات . . وارتاح لذلك لكنه بحث عن جوانب التميز فيها . . والذى جذبه إليها . . ربما أحس بظلمها فى هذه الدرجة . . تريث قليلا . . حاول رسم الصورة مجردة أمامه . . لفت نظره استدارة الثدى الأيسر عن الأيمن قليلا . . رفض أن يبخسها حقها ذلك . . كل النساء كذلك . . أصر على إنقاص الخمسة إلى أربعة لما رأى تهدل الثديين يضايقه ذلك كثيرا إذا احتواها . . يريد أن يحس بنشوة التقائهما مع صدره المنتفخ السمين . . كره أيضا كرشها

الواضح . . ربما من جراء حملها . . لكن أغلب النساء
يحملن ولا تجد لذلك أثرا فى تكور البطون . . يهتم كثيرا
بأن يحوط الخصر بكلتا يديه بلاتعب . . تضايق كثيرا . .،
رفض أن يصف أو حتى يتذكر أماكن أخرى . . ربما ترتفع
الدرجة لو نظر إليها من جانب آخر . . هكذا فعل . . يريد
أن يتحرر الآن من أحاسيسه ، إحساسه الدافق بحبه لها . .
وإحساس بضيقه وتبرمه من سلوكها . . الآن فقط ! حاول
أن يكون موضوعيا . . لا وقت الآن لفنجان من الشاى . .
أو حتى لسماع أم كلثوم افتكرنى . . بالقلم كتب على
أطراف الورقة درجات . . خمسة . . ستة . . أربعة . .
احتار . . لو كتب رقمًا الآن سيفقد الدرجات أهميتها . .
رمى القلم والورقة . . وقف قليلا فى البلكونة . . يمامة . .
بحذر تنزل بترقب تنظر إليه . . سكن . . ضبط أنفاسه . .
تسمر فى مكانه . . أعطاها إحساسا بالأمان . . نفرت فى
سطح المنزل قليلا . . ارتاحت . . وقفت عيناها عن التطلع
إليه . . ارتاحت له . . طارت ونزلت . . طارت وعادت
. . أصابه شىء من الهدوء . . لكنه لم يكن يحرمها من ذلك
. . كانت تسكن فى أحضانه فلا تفيق إلا صباحا . . لماذا

تصر دوما على ارتداء ثوب الرجل المقيت . . صوتها العالى يطارده الآن . . فى ضيق مسك القلم كتب ثلاث درجات فى السلوك العام لها . . لكن حنانها لا يفوقه حنان ودفأها ووو . .! هذه الدرجة قليلة ، كتب تسعة وحذف بطرف القلم الثلاثة لكن التسعة يعنى تميزها وهى ليست كذلك . . فكر طويلا . . هو الآن وصل إلى درجة القناعة فى أنه لا يستطيع أن يقيم أية امرأة . . وصل إلى تساوى بنات حواء . . سانده فولتير « كل النساء جميلات إلا زوجتى . . »

تأسف فى صمت لفولتير . . وكتب بسرعة وعجالة . . كل السناء جميلات وقبيحات !

منظر عادى جدا

. . . وحتى لو سارا هكذا حتى نهاية الشارع فلن أمل من متابعتهما ، ولو تجرأ فى التصاقه بها أكثر من ذلك فلن أحرج من جُزأة تصرفه ، وحتى لو ناما . .

سأضع فوق الآهات المنبعثة قميصى الناعم . . سأفسح للشمس مكانا حتى تلتهب الأجساد أكثر وأكثر . . سأسد بريق عيون ناهمة عنهما . . أهز جذع النخل الناشف يسقط جنب الجسد الواحد المتكتل رطبا جنيا . .

لو طال اللقاء . . سأجمع ندى الورد المتصابى ومن ثغر حمامة بيضاء . . يرتشف وترتشف .

المنظر الآن قد اكتمل . . . ورعدة غطت أرجاء المكان عندما أطلق السائق آلة التنبيه تتلاقى مع نفخ إسرافيل فى البوق .

الفهرس

صدر مؤخرا من هذه السلسلة

١٦٠ – لوحدك .... محمود فهمى
١٦١ – امرأة تعزف على الأسلاك .... حسن غريب أحمد
١٦٢ – دوامة بتحدف غرب الكون .... حامد أنور
١٦٣ – مواسم مابعد العشق .... محمد جاد المولى العمارى
١٦٤ – ثقب فى الهواء بطول قامتى .... محمد أبو زيد
١٦٥ – والنـــار .... نصر عبد الرحمن
١٦٦ – وردة لا تبوح .... عواطف يونس
١٦٧ – بغداد لا أحد .... جمال عبد المعتمد
١٦٨ – الروح تسأم أحيانًا .... محمود أبو عيشة
١٦٩ – أول شعره بيضا .... عصام خميس
١٧٠ – اشتعالات الوداع .... أحمد كمال زكى
١٧١ – وردة للخونة .... محمد عبد النبى
١٧٢ – ياقوتة البعث .... جمال محمود النساج
١٧٢ – ياقوتة البعث .... جمال محمود النساج
١٧٣ – أوراق من ذاكرة الموج .... محمد حسين
١٧٤ – البنت والأشياء .... جلاء الطيرى
١٧٥ – يادوب تلحق .... محمود عبد الباسط
١٧٦ – ربما كالآخرين .... أسماء شهاب الدين
١٧٧ – مشاهد من دفتر الذاكرة .... عصام عبد العزيز
١٧٨ – إيقاعات مختلفة جدًا .... حمدى ابراهيم محمد

* السلسلة غير ملزمة برد أصول الأعمال سواء أنشرت أم لم تنشر .
* ترتيب النشر يخضع لاعتبارات فنية .

في هذه المجموعة من القصص ، لا يُلزم الكاتب نفسه بأشكال القص المعتمدة لدينا فى تمثيلاتها الحديثة ، بل يخوض مغامراته الأسلوبية بجرأة تحسب لتجربته السردية فيقدم بالفعل تنوعًا و« إيقاعات مختلفة جدًا » للسرد . ويستلهم أساليبه من ذخيرة التراث السردى ، فيحيى من جديد عوالم مشحونة بالإيقاع العربى والمصرى .

الشركة الدولية للطباعة
الثمن : جنيه واحد